النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

تأليف الأستاذ محمد عرفة

بقلم الأديب محمد فهمى عبد اللطيف

منذ أعوام نشبت معركة أدبية بين الجامعة والأزهر حول نسبة الشعر الجاهلى ، وكانت شعواء صاخبة جرفت إلى ميدانها كثيراً من رجال الفكر وأعلام الأدب ، واتخذت من صفحات الصحف وردهات الأندية ميداناً واسعاً شاملاً ، وعج مجيجها فاتصلت بالسياسة وكان لها حديث تحت قبة البرلمان كاد أن يطيح بوزارة ، واتصلت بالدين فكان اتهام أمام النيابة واحتكام إلى القضاء ؛ ومع هذا كله فقد انتهت تلك المعركة وما تركت إلا النقع يخنق النفوس ، والغبار يقذى العيون ، وبقيت نسبة الشعر الجاهلى كما هى خاوية لا تقوم على تحقيق ثابت ، واهية لا ترتكز على بحث علمى صحيح ، معقدة لا يجليها رأى مبتدع ، مظلمة لا ينيرها فكر ثاقب

واليوم تنشب المعركة ثانية بين الأزهر والجامعة حول النحو وقواعده والنحاة وجهودهم . فالأستاذ إبراهيم مصطفى الأستاذ بكلية الآداب فى كتابه « إحياء النحو » ينتقد النحويين في قصرهم مباحث النحو على الإعراب والبناء ، دون أن يبحثوا خصائص الكلام من التقديم والتأخير ، والنفى والاستفهام ، والاثبات والتأكيد ، ثم يرد على النحاة فى زعمهم أن الإعراب أثر لفظى لا يؤدى معنى ، ولا صلة له بتصوير المفهوم ، وإثبات أن حركات الإعراب دوال على معان قصدت من الكلام ، فالضمة علم الاسناد ، والكسرة علم الاضافة ، والفتحة علم الخفة ، ثم هو ينتقد النحاة فى زعمهم أن هذه الحركات اجتلبها العامل ، وراح يثبت أن المتكلم هو الذى أحدثها ، وخالفهم فذهب إلى أن التنوين علم التنكير ، فلك فى كل علم ألا تنونه

والأستاذ محمد عرفة الأستاذ بكلية اللغة العربية يرى فى ذلك منكباً للقصد ، وحيفاً على الحق ، فوضع للرد عليه كتابه (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) وهو يعتقد أن الأستاذ مصطفى قد نحل النحاة مذاهب لم يقولوها ونقدها وأبان خطلها ، كما أنه قعّد قواعد فى العربية لو أخذ الناس بها لغيرت من روح العربية ولأفضى ذلك إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله على غير وجههما ، حتى لقد عمم فى الطعن ولم يخصص ، فأدخل سيبويه وكتابه ! يقول الأستاذ عرفة : « ولقد تمثلت هؤلاء النحاة وهم فى أجداثهم يهضمون هذا الهضم بعد أن ملأوا الدنيا علما ، ويحاف عليهم هذا الحيف وقد خرست ألسنتهم الناطقة ، وإذ قد آلوا إلى ما آلوا إليه ، فقد صار حتما على أبنائهم أن يردوا عنهم هذه التهم كما هو الواجب الانسانى ، وواجب الأساتذة على أبنائهم الذين هذبوا عقولهم ، ثم واجب اللغة العربية وواجب العلم فى نفسه ، وأخيراً واجب التلاميذ على أساتذتهم »

و « الفكرة » فى كتاب الأستاذ عرفة هى مجاوبة للفكرة فى كتاب « إحياء النحو » ، فهو يرى أن النحو العربى فى حاجة إلى تبسيط قواعده وعرضه بطريقة تقربه من طبيعة المتكلمين وتكشف عن سر العربية ، ولكن على نمط قويم لا على ذلك النمط الذى انتهجه صاحب « إحياء النحو » فحاد به عن السداد ، ولو ثبت لكان خطراً على اللغة العربية ، وعلى فهم كتاب الله وسنة رسوله

ولقد أعجبنى الأستاذ عرفة فى ثبات جنانه فما اشتط في الخصومة ، ولا جمح به القلم ، فإذا هو مع خصمه من أول الكتاب إلى آخره على ما تقضى به كرامة العلم والخلق الحميد ، عف الأسلوب ، مهذب العبارة ، نزيه الغرض ، صريح فى الحق ، لا يخاتل صاحبه ولا يموه على قارئه ؛ إن قسا فبالحجة ، وإن

احتكم فالى النصوص المدونة والنقول الثابتة ، وإلى العلم والمنطق

تلك هى معركة اليوم بين الجامعتين ، وذلك هو مداها : أستاذ يهاجم وأستاذ يدافع الرأى بالرأى ، والحجة بالحجة ، و« الكتاب » « بالكتاب » ، وما نريد أن نزيد مدى المعركة على هذا الحد ، ولا أن نخرج عن هذا الاعتبار ، ولا نحب أن تتجاوز الأستاذين إلى غيرهما حتى ينتهيا إلى آخر الشوط ، ويصلا إلى نتيجة ترضى الحق والعلم

أما الآن فالكلمة نحب أن نسمعها من صاحب « إحياء النحو » فهو أولى الناس بالذود عن حوضه ، وخير من ينافح عن فكرته ، خصوصاً وأنه يريد أن يعمم هذه الفكرة فى وزارة المعارف وأن يقحمها فى مناهج التعليم ؛ وقيل إنه قابل الوزير لذلك الغرض فشجعه الوزير ووعده الخير . فليتقدم الأستاذ مدافعاً عن نفسه أو مسلماً لخصمه ؛ وعلى أى حال سواء أمكنه أن ينهض بفكرته وأن يرفع لواءها سليماً من الطعن ، أو نكص بها مردوداً من قريعه ومنازله ، فإنه مشكور له أجر المجتهد أخطأ أم أصاب ، وحبذا الناضل والمنضول فى سبيل الحقيقة العلمية خالصة لله منزهة عن الأغراض

محمد فهمى عبد اللطيف

رئيس التحرير وقصص أخرى

(مجموعة أقاصيص أصدرها الأديب صلاح الدين ذهنى)

للأستاذ زكى طليمات

القصة المصرية تسير بل تركض ...

فذ أطلت برأسها علينا فى (حديث عيسى بن هشام) للمويلحى تخفى وجهها بخمار عربى من وشى أنامل تذكرنا بنسيجها الأول فى (مقامات الحريرى) و (بديع الزمان) ، إلى أن أسفرت عن وجهها مصرية من غير نقاب فى (زينب) لهيكل ، إلى أن صلب عودها واستفاضت بشرتها بحمرة مياه النيل فى قصص محمود تيمور ، وقبل ذلك فى أقاصيص شقيقه محمد ، إلى مالم تدخره حافظتى من أسماء قصاصين من أدباء مصر والشرق العربى أبوا إلا أن يغامروا بأقلامهم فى معالجة هذا اللون الجديد من الأدب العربى ،

منذ ذلك الحين والقصة المصرية توالينا بنتاج لا ينقطع ، وكأنها تأبى إلا أن تكون شغل الأدب والنقد فى هذه الأيام

القصة المصرية صبية جامحة تياهة مزهوة فهى لا تعرف فضيلة التواضع ، تتحدث بصوت جهير كلما ملكتها شهوة الكلام ، ولا تدرى فعل التفكير والمراجعة وأثر التحرى والاستجمام فى إتيان الوثبة الواسعة ؛ وما هذا بالأمر المستغرب لأنه يرجع إلى طبيعة الشىء . وكأنى بالأديب المصرى اليوم ، وقد استشعر ماهية شخصيته بتأثير النضال الاستقلالى وبعوامل النزاع القومى وبما يعمر رأسه من أصداء الأدب الغربى وفى مقدمتها القصة . كأنى به أصبح لا يرتاح إلى الإفصاح عن خلجات نفسه والشكاية من همه إلا عن طريق التدخل فى أديم شخصيات يبتدعها خياله بعد أن ينتزع معينها من البيئة التى يعيش فيها ، فيسجل ببراعة دقائق هذه الشخصيات فى سرد قصصى يطريه الحوار وتغلفه أجواء تفيض بالصبغة المصرية المحلية ، وتتمشى فيها أعراق من الإنسانية العامة . وأغلب الظن أن القصة المصرية أصبحت المجال الذى يعمل فيه الأديب المصرى اليوم لاستخلاص (المصرية) ولاستكمال مقومات أدب حديث ؛ وهى مظهر من مظاهر تحررنا من أساليب الأدب العربى القديم بعد أن غمرتنا أمواج ثقافة غربية جديدة ، وطالعتنا أحداث الزمن بما جعلنا نتفر إلى الجهاد فى سبيل حياة مستقلة

ومهما حاول النقد مخلصاً أن ينال من القصة المصرية باخراج أكثر نتاجها من دائرة الفن الرفيع فلن يسلبها بهاء الشباب وروعة الفتوة . وإذا لم نجد فيها — وأعنى أكثريتها — عمق التفكير وجزالة الطبع القوى وصدق التحليل النفسى الذى يحس به ولا يلمس ، وطرافة المعالجة ، فحسبنا أنفاس عطرة دافئة تهب علينا من بين سطورها ، هى أنفاس مؤلفيها ، وهم أدباء يحاولون أن يدخلوا لوناً جديداً على الأدب العربى وأن ينشئوا أدباً قومياً

أكتب هذا وأمامى مجموعة أصدرها الأديب الشاب (صلاح الدين ذهنى) باسم (رئيس التحرير وقصص أخرى) ، وهى مجموعة تقف بجدارة إلى جانب أحسن ما أخرجته أقلام القصاصين الحديثين من المصريين . ولعل أبين ما تمتاز به أنها

جادت فى أسلوب يتسامى بجزالته عن مثيله فيما قرأت من قصص الناشئين من القصاصين

إلا أن الجزالة فى اللفظ والفصاحة ليست كل شيء فى الأسلوب، وهو من مبانى القصة قوالبها وأداة معالجتها. والحكم على طرافة القصة ومنزلتها من الأدب الرفيع لا يكون العمدة فيه موضوعها، بل أسلوب معالجة هذا الموضوع. وما ترك الأول للآخر فكرة أو موضوعاً لم يعالجه أو يشر إليه؛ فقد يحدث أن يعالج الموضوع الواحد عدد كبير من الكتاب، ولكن التفوق والخلود لا يكتبان إلا لواحد منهم، وهو من يكون قد حذق معالجة هذا الموضوع وبرع فيه

والمعالجة الطريفة لموضوع القصة تكون فى حبكها الشيقة وإنزالها فى القالب الذى تخرج منه منسقة الحوادث من غير عنت، متينة البناء فى غير افتعال، منزنة محكمة الأسلوب، توحى وتفصح، وتقطر وتفيض. وحظ القصص التى بين يدي مما ذكرت غير متجانس، فبعضها يأخذ سمت المعالجة الطريفة فى خطو وئيد، والبعض الآخر يتعثر فى نواح من نواحيه، إلا أنها عثرات سرعان ما تقال. ويبدو هذا فى القصة الأولى من المجموعة وعنوانها (حسنة)، فى حين أن قصة (رئيس التحرير) تعد أنموذجاً لحذق كاتبها من حيث معالجة الموضوع وخصب البيان. وحسبنا من المؤلف أن يصيب مرة ويخطىء مرات، وهو فى الحالتين لا يألو جهداً فى أن ينزع نحو الكمال الفنى المنشود

و(رئيس التحرير) قصة فكهة (كاريكاتورية) الأشخاص والأسلوب. وأبين ما تبين عنه هذه القصة نزعة ساخرة يفيض بها قلم كاتبها، وهى نزعة يخالطها الأسى وتمازجها الشكاية فى قصة (مذكرات فنان) حيث نرى المؤلف متبرماً بمجتمعه متململاً بما شاع فيه من التطاول والادعاء؛ ينقد عن ملاحظة دقيقة أوضاعه المقلوبة، مما يدل على أن (صلاح الدين) على حس مرهف وعين بصيرة بحقائق الأشياء وتفاريق الألوان فى مجتمعه، فهو يرى ويشعر ويحيا ويتألم ويسخر ويصخب، وشأنه فى هذا شأن صفوة الشباب المعذب فى هذا الجيل، ولعل هذه القصة أحسن ما تكشف عن نفسية المؤلف

وللريف فى هذه المجموعة من القصص شأن يذكر، وأحسن ما جاء فى قصصه تلك الصبغة الريفية التى تطالع القارئ فيحس بريح القرية ملء أنفه ويهدوئها يشمل أعصابه

وللمؤلف جولات أخرى فى موضوعات الحياة التى تتصل ببيئته، فهو تارة تراه متدخلاً فى زوايا البيوت، وأخرى متغلغلاً فى طوايا السرائر؛ وهو فى معالجة هذه الموضوعات يركض ويتباطأ، ويهبط ويصعد، ويستقيم ويلتوى؛ ولكنه يريد دائماً أن يذهب بعيداً ليستقر فى آفاق طريفة من التأمل والتفكير، وهو فيما يريد أن يذهب إليه يصيب مرة ويخيب أخرى، وهو فى خيبته غير مهزوم

زكى طليمات

صدر كتاب

رئيس التحرير

وقصص أخرى

بقلم

صلاح الدين ذهني

الثمن ستة قروش خالصة أجرة البريد

يطلب من مكتبة النهضة أمام جريدة الأهرام

ومن المكاتب الشهيرة

أو من المؤلف رقم (١٤) شارع السلحدار بمصر الجديدة